ملكاً الأصل فاحذروا عدو الله أن يعديكم بدائه وأن يستفزكم بخيله ورجله فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد
وأغرق لكم بالنزع الشديد ورماكم من مكان قريب فقال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين
قذفاً بغيب بعيد ورجماً بظن مصيب صدقه به أبناء الحمية وإخوان العصبية وفرسان الكبر والجاهلية حتى
إذا انقادت له الجامحة منكم واستحكمت الطماعية منه فيكم فنجمت الحال من السر الخفي إلى الأمر الجلي استفحل
سلطانه عليكم ودلف بجنوده نحوكم فأقحموكم ولجات الذل وأحلوكم ورطات القتل وأوطؤوكم إثخان
الجراحة طعناً في عيونكم وحزاً في حلوقكم ودقاً لمناخركم وقصداً لمقاتلكم وسوقاً بخزائم القهر إلى النار المعدة
لكم فأصبح أعظم في دينكم جرحاً وأورى في دنياكم قدحاً من الذين أصبحتم لهم مناصبين وعليهم متألبين فاجعلوا
عليه حدكم وله جدكم فلعمر الله لقد فخر على أصلكم ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم وأجلب بخيله عليكم وقصد
برجله سبيلكم يقتنصونكم بكل مكان ويضربون منكم كل بنان لا تمتنعون بحيلة ولا تدفعون بعزيمة في حومة
ذل وحلقة ضيق وعرصة موت وجولة بلاء فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهلية
وإنما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته واعتمدوا وضع التذلل
على رؤوسكم وإلقاء التعزز تحت أقدامكم وخلع التكبر من أعناقكم واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم
إبليس وجنوده فإن له من كل أمة جنوداً وأعواناً ورجلاً وفرساناً ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه من غير ما فضل جعله
الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب ونفخ الشيطان
في أنفه من ريح الكبر الذي أعقبه الله به الندامة وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة الشرح موضع أن يعديكم
نصب على البدل من عدو الله وقال الراوندي يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً وهذا ليس بصحيح لأن حذرت لا يتعدى
إلى المفعولين والعدوى ما يعدي من جرب أو غيره أعدى فلان فلاناً من خلقه أو من علته وهو مجاوزته
من صاحبه إلى غيره وفي الحديث لا عدوى في الإسلام فإن قلت فإذا كان النبي ص أبطل ما كانت العرب تزعمه
من أن عدوى الجرب في الإبل وغيرها فأمير المؤمنين ع حذر المكلفين من أن يتعلموا من إبليس الكبر والحمية
وشبه تعلمهم ذلك منه بالعدوى لاشتراك الأمرين في الانتقال من أحد الشخصين إلى الآخر قوله ع يستفزكم أي
يستخفكم وهي من ألفاظ القرآن العزيز واستفزز من استطعت منهم بصوتك أي أزعج واستخفه واطرد قلبه
والخيل الخيالة ومنه الحديث يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع لراجل كركب اسم جمع لراكب وصحب اسم جمع لصاحب
وهذه أيضاً من ألفاظ القرآن العزيز وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وقرئ برجلك بكسر الجيم على أن فعلاً بالكسر
بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وقد يضم الجيم أيضاً فيكون مثل قولك رجل حدث وحدث
وندس وندس فإن قلت فهل لإبليس خيل تركبها جنوده قلت يجوز أن يكون ذلك وقد فسره قوم بهذا والصحيح
أنه كلام خرج مخرج المثل شبهت حاله في تسلطه على بني آدم بمن يغير على قوم بخيله ورجله فيستأصلهم وقيل
بصوتك أي بدعائك إلى القبيح وخيله ورجله كل ماش وراكب من أهل الفساد من بني آدم قوله ع وفوقت السهم
جعلت له فوقاً وهو موضع الوتر وهذا كناية عن الاستعداد ولا يجوز أن يفسر قوله فقد فوق لكم سهم الوعيد بأنه
وضع الفوق في الوتر ليرمي به لأن ذلك لا يقال فيه قد فوق بل يقال أفقت السهم وأوفقته أيضاً ولا يقال أفوقته وهو
من النوادر قوله وأغرق لكم بالنزع أي استوفى مد القوس وبالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد ووقع سهامه أشد
قوله ورماكم من مكان قريب لأنه كما جاء في الحديث يجري من ابن آدم مجرى الدم ويخالط القلب ولا شيء أقرب من
ذلك والباء في قوله ع بما أغويتني يتعلق بفعل محذوف تقديره أجازيك بما أغويتني تزييني لهم القبيح فحذف المفعول
ويجوز أن تكون الباء قسماً كأنه أقسم بإغوائه إياه ليزينن لهم فإن قلت وأي معنى في أن يقسم بإغوائه وهل هذا
مما يقسم به قلت نعم لأنه ليس إغواء الله تعالى إياه خلق الغي والضلال في قلبه بل تكليفه إياه السجود الذي وقع الغي
عنده من الشيطان لا من الله فصار حيث وقع عنده كأنه موجب عنه فنسب إلى الباري والتكليف تعريض للثواب ولذة

الأبد فكان جديراً أن يقسم به وقد أقسم في موضع آخر فقال فبعزتك لأغوينهم فأقسم بالعزة وههنا أقسم بالأمر والتكليف
ويجوز فيه وجه ثالث وهو أن لا تكون الباء قسماً ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب ما كلفتني فأفضى إلى غوايتي
أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي وهو أن أزين لهم المعاصي التي تكون سبب هلاكهم فإن قلت أليس هذا نحو ما فعله
الباري به لأن الباري أمره بالحسن فأباه وعدل عنه إلى القبيح والشيطان لا يأمرنا بالحسن فنكرهه ونعدل عنه إلى القبيح
فكيف يكون ذلك نحو واقعته مع الباري قلت المشابهة بين الواقعتين في أن كل واحدة منهما يقع عندها المعصية لا على
وجه الإجبار والقسر بل على جهة الاختيار لأن معصية إبليس كانت من نفسه ووقعت عند الأمر بالسجود اختياراً منه لا فعلاً
من الباري ومعصيتنا نحن عند التزيين والوسوسة تقع اختياراً منا لا اضطراراً يضطرنا إبليس إليه فلما تشابهت
الصورتان في هذا المعنى حسن قوله بما فعلت بي كذا لأفعلن بهم نحوه فإن قلت ما معنى قوله في الأرض ومن أين كان يعلم
إبليس أن آدم سيصير له ذرية في الأرض قلت أما علمه بذلك فمن قول الله تعالى للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة وأما
لفظة الأرض فالمراد بها ههنا الدنيا التي هي دار التكليف كقوله تعالى ولكنه أخلد إلى الأرض ليس يريد به الأرض بعينها بل الدنيا
وما فيها من الملاذ وهوى الأنفس قوله ع قذفاً بغيب بعيد أي قال إبليس هذا القول قذفاً بغيب بعيد والعرب تقول
للشيء المتوهم على بعد هذا قذف بغيب بعيد والقذف في الأصل رمي الحجر وأشباهه والغيب الأمر الغائب وهذه اللفظة
من الألفاظ القرآنية قال الله تعالى في كفار قريش ويقذفون بالغيب من مكان بعيد أي يقولون هذا سحر وهذا من تعليم
أهل الكتاب أو هذه كهانة وغير ذلك مما كانوا يرمونه ع به وانتصب قذفاً على المصدر الواقع موقع الحال وكذلك رجماً
وقال الراوندي انتصبا لأنهما مفعول له وليس بصحيح لأن المفعول له ما يكون عذراً وعلة لوقوع الفعل وإبليس ما قال ذلك
الكلام لأجل القذف والرجم فلا يكون مفعولاً له فإن قلت كيف قال أمير المؤمنين عليه السلام قذفاً من مكان بعيد ورجماً بظن
غير مصيب وقد صح ما توهمه وأصاب في ظنه فإن إغواءه وتزيينه تم على الناس كلهم إلا على المخلصين قلت أما أولاً فقد
روي ورجماً بظن مصيب بحذف غير ويؤكد هذه الرواية قوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا قليلاً وأما
ثانياً على الرواية التي هي أشهر فنقول إنما قذف من مكان بعيد لأنه قال ما قال على سبيل التوهم والحسبان لأمر مستبعد لا يعلم
صحته ولا يظنها وليس وقوع ما وقع من المعاصي وصحة ما توهمه بمخرج لكونه قوله الأول قذفاً بغيب بعيد وأما رجماً بظن
غير مصيب فيجب أن يحمل قوله ولأغوينهم أجمعين على الغواية بمعنى الشرك أو الكفر ويكون الاستثناء وهو قوله إلا عبادك
منهم المخلصين معناه إلا المعصومين من كل معصية وهذا ظن غير مصيب لأنه ما أغوى كل البشر الغواية التي هي الكفر
والشرك إلا المعصومين العصمة المطلقة بل أغوى بعضهم كذلك وبعضهم بأن زين له الفسوق دون الكفر فيكون ظنه أنه
قادر على إغواء البشر كافة بمعنى الضلال بالكفر ظناً غير مصيب قوله ع صدقه به أبناء الحمية موضع صدقه جر لأنه
صفة ظن وقد روي صدقه أبناء الحمية من غير ذكر الجار والمجرور ومن رواه بالجار والمجرور كان معناه صدقه في ذلك
الظن أبناء الحمية فأقام الباء مقام في قوله ع حتى إذا انقادت له الجامحة منكم أي الأنفس الجامحة أو الأخلاق الجامحة
قوله ع فنجمت الحال أي ظهرت وقد روي فنجمت الحال من السر الخفي من غير ذكر الجار والمجرور ومن رواه بالجار والمجرور
فالمعنى فنجمت الحال في هذا الشأن المذكور بينه وبينكم من الخفاء إلى الجلاء واستفحل سلطانه قوي واشتد فصار فحلاً
واستفحل جواب قوله حتى إذا قوله ودلف بجنوده تقدم بهم والولجات جمع ولجة بالتحريك وهي موضع أو كهف تستتر فيه
المارة من مطر أو غيره فأقحموكم أدخلوكم والورطة الهلكة قوله ع وأوطؤوكم إثخان الجراحة أي جعلوكم واطئين لذلك
والإثخان مصدر أثخن في القتل أي أكثر منه وبالغ حتى كثف شأنه وصار كالشيء الثخين ومعنى إيطاء الشيطان بني آدم ذلك
إلقاؤه إياهم فيه وتوريطهم وحمله لهم عليه فإثخان على هذا منصوب لأنه مفعول ثان لأن الراوندي قال إنه انتصب بحذف
حرف الخفض قوله ع طعناً في عيونكم انتصب طعناً على المصدر وفعله محذوف أي فعلوا بكم هذه الأفعال فطعنوكم في عيونكم طعناً
فأما من روى وأوطؤوكم لإثخان الجراحة باللام فإنه يجعل طعناً منصوباً على أنه مفعول به أي أوطؤوكم طعناً وحزاً
كقولك أوطأته ناراً وأوطأته عشوة ويكون لإثخان الجراحة مفعولاً له أي أوطؤوكم الطعن ليثخنوا الجراحة فيكم وينبغي أن يكون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1